آراء في السجون

بقلم

السجين المتطوع المحامي

رولان ابو شديد

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

آراء في السجون

بقلم

السجين المتطوع

المحامي رولان ابو شديد

umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

اذا عجز المجتمع عن ازالة اسباب الاجرام عند ابنائه ، فليمتنع على الاقل عن تقويض ما تبقى عند مساجينه من مظاهر الانسانية .

umam للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

مقدمة

بقلم الاستاذ عبدالله قبرصي

عزيزي الاستاذ رولان
تحية طيبة ،

درست بحثك العملي والنظري عن السجن والسجناء . ولكنت احجم عن ابداء الرأي فيه لو لم اكن انا نفسي سجينا قديما . فقد بلوت جميع السجون تقريبا من عسكرية ومدنية اجنبية ووطنية ، وانت تعرف ان سبب سجني كان دائما صمودي في عقيدتي وتشبثي بما اراه حق بلادي بالحياة والحرية والرقي .

انني اول ما الفت نظرك اليه انك نسيت نسيانا كليا مسألة «السجين السياسي» . ففي قانون بلادنا يعامل السجين السياسي كأي سجين آخر . ان في هذا ظلما للسجين فوق ما يكون قد اوقعه به القضاء من ظلم .

ان اول ما يجب ان تطالب به في ختام بحثك ، الى جانب مبدأ المساواة بين السجناء العاديين ، مبدأ آخر اهم واكثر ضرورة هو ايجاد نظام خاص بالسجناء السياسيين .

ان الذي يسجن من اجل عقيدة او عمل سياسي ، محق كان او غير محق ، هو انسان ارتفع عن منحدر الجريمة العادية الى مستوى تحمل مسؤوليات فقدانه حريته ، في صراعه ضد الواقع ، من اجل تحقيق مجتمع افضل وحياة فضلى .

هذا من جهة ،

ومن جهة ثانية ،

وان اكن اقرك على مبدأ تصنيف السجناء ، وكافة ما ذكرته عن تنفيذ المرسوم الاشتراعي الصادر في ١١ شباط سنة ١٩٤٩ ، وعلى مبدأ تشغيل السجناء القادرين على الشغل ،

Documentation & Research

ارى ان نشدد ، نحن الذين ادركنا فواجع «عالم السجن» ، على انشاء مدارس مهنية وعلمية داخل السجون .

ان الجهل والانحراف الخلقي واليأس والعقد النفسية وانحلال الشخصية ، كلها يمكن ان تعالج وتشفي لو نظرنا الى السجن كمدرسة ومستشفى معا . انني عند خروجي من السجن، وعلى مرات عديدة ، دعوت النقابات والجمعيات والاحزاب ورجال الدين ، الى تبني قضية «السجن» لا في لبنان وحسب ، بل في العالم العربي ، وفي كل عالم لم يجد بعد لقضية السجن حلا ، والى النظر الى السجين الذي اخطأ وحكم لاسباب واسباب ، كمريض بحاجة الى عطف ، الى حنو المجتمع،لا الى انتقامه تمشيا مع النظرة الفردية العشائرية المنتقمة الحاقدة.

السجن المدرسة ـ المستشفى ـ المصنع ، السجن الانساني الذي نصالح فيه السجين مع نفسه ومع المجتمع ، هو ما يجب ان ندعو اليه جميعاً ، هو ما دعوت اليه منذ ان تعرفت الى مأساة السجين في بلادي .

انني لعميق التأثر بأنك اختصصتني دون سواي بتقييم دراستك ، ولشاكر لك هذه البادرة الوطنية ـ الانسانية ، في اهتمامك بعالم السجن والسجناء .

لقد اثبت لي ان هذا الوطن لا بد ان يلتفت الى نفسه ويعود الى ضميره ، وان يحقق مع الزمن ـ ونرجو ان يكون ذلك عاجلا ـ الاصلاحات الاجتماعية ، الاصلاحات التي تؤدي الى اقفال السجون ، وان يحقق بالوقت نفسه للسجين الذي أصبح تحت رحمة سجانه وسجنه الاصلاح الذي يعيده الى اعتبار نفسه انسانا ، والذي يجعله يعتبر ان المجتمع ليس جلادا بل مصلحا ومربيا وطبيبا ومعلما .

انني اشكرك واهنئك .

واسلم للداعي لك بالخير

عبدالله قبرصي

في ١/١/ ١٩٦١

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

في السجون

واضع هذا البحث محام شاب اقتنع بضرورة التعرف عن كثب الى اوضاع السجن ونفسية السجناء لما لهذا الاختبار من فوائد اكيدة على الصعيدين المهني والانساني .

وعليه فقد اقنع السلطات المختصة بوجوب الترخيص له بدخول السجن وتمكن بالنتيجة من دخول سجن الرمل في بيروت بحجة انه موقوف بجنحة مزعومة (شك بدون مؤونة) وقد قضى في السجن بصفة سجين عادي ثمانية ايام وثماني ليالٍ من ٢٢ الى ٣٠ ايلول ١٩٦٠ شارك خلالها نحو ثمانماية سجين حياة الاسر في الاكل واللباس والمنامة وتنقل بين ثلاثين غرفة مستمعا الى احاديثهم ومناقشاً آراءهم في شتى الامور .

وعلى اثر هذا الاختبار الشخصي وضع تقريره هذا باحثا فيه النقاط الثلاث التالية :

اولاً ـ عالم السجن ونفسية السجين

ثانياً ـ منافع السجن ومساوئه

ثالثاً - اصلاح السجون .

* * *

اولاً ـ عالم السجن ونفسية السجين

(أ) ـ ميزات العيش في عالم السجن

يعيش السجناء في غرف كبيرة عالية النوافذ ، مستقلة المنافع ، ارضها لهم فراش وكرسي ومائدة .

وان معدل السجناء في غرفه واحدة يناهز الخمسة والعشرين وقد يتدنى الى عشرة او يرتفع الى خمسين رغم سعة الغرف نفسها

(١) يوم السجين

يبدأ يوم السجين بين التاسعة والعاشرة صباحا عندما يستيقظ من النوم بعد سهر طويل يجعله يحرص كل الحرص على ساعات النوم في الصباح .

فيطوي فراشه ولا يستبدل لباس النوم او يحتذي حذاءً الا نادراً وقد يظل على هذه الحال اياماً طوالاً كونه لا يملك غالباً سوى لباس واحد بينما يبدو بعض السجناء شبه عراة.

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

وتنعكس الحال تماماً اذا ما دعي السجين للمثول امام السلطات القضائية فيسعى جاهداً لاستئجار ثوب انيق من احد السجناء الميسورين .

ومن ثم يطلب الحارس من كل غرفة ان تبعث بخمس من سجنائها الى حمامات المياه الساخنة ولكن السجناء يتحاشون الاستفادة من هذا الامتياز الرفيع على حاجتهم الماسة الى النظافة .

ويصلهم الاكل في السطول مرتين في النهار في العاشرة والنصف صباحاً والرابعة والنصف مساءً . وهو خليط غليظ من الحبوب المسلوقة بالماء تنقصه التوابل والصالصة ويفتقر الى المواد الغذائية قاطعاً كل شهية . وقد ترى غالبية السجناء الفقراء يفضلون الخبز والجبن كونهما عكس المأكولات الاخرى ، من النوع الجيد . اما الميسورين منهم فيأتون بالطعام على نفقتهم الخاصة من مطعم كائن خارج السجن او يتسلمون كل يوم طعام المنزل ساخناً من ايدي ذويهم .

يتناول السجناء الطعام مرتين في النهار في اوقات غير محددة تختلف مع تعاقب الايام . اما كيفية تناول هذه الوجبات فتختلف مع اختلاف الغرف : فاما ان يتناول كل سجين طعامه بمفرده وعلى معزل من رفاقه واما ان ينقسم سجناء كل غرفة الى زمر متجانسة يقتسم اعضاء كل منها طعامهم فيما بينهم واما اخيراً ان يجلس جميع سكان الغرفة حول مائدة مشتركة واحدة كما يحصل ذلك في بعض الغرف الصغيرة والمتضامنة .

وعند انتهاء الطعام ينتقل السجناء من وسط الغرفة الى اطرافها حيث يجلسون على الحصائر والفرش ويتابعون احاديثهم المألوفة عن جرائمهم وخصائصها ، عن براءتهم الاكيدة وتقصير المحامين وظلم القضاة وضرورة العفو ونادراً ما يتطرقون الى المواضيع السياسية .

ويقومون احيانا بزيارات الى الغرف المجاورة التي تكون مفتوحة على بعضها البعض في اوقات من النهار واذا لم يتمكنوا من الخروج الى باحة السجن بقصد النزهة زرعوا الغرفة ذهاباً وايباً تحريكاً للدم كما يقولون .

ويدخن السجين طوال النهار ويشرب عشرات فناجين القهوة الشاي وهو دائما لا محال بين امرين او ان يتكلم او ان ينصت مع العلم ان الكلام امتياز الاقوياء والاستماع واجب الضعفاء .

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

وينتهي نهار السجين حوالي الساعة الخامسة مساءً عندما يفرغ حراس السجن من تعداد وتفقد سجناء كل غرفة ، فتقفل الابواب ويضحى السجناء بعيدين عن حراسهم فيشعرون بنوع من الحرية ويباشر كل منهم بمد فراشه . وغالباً ما لا يكتفي السجين بالبطانيتين اللتين تقدمهما الادارة فاذا به يضيف اليهما فراشاً من الصوف او القطن او الخرق يتناسب حجمه ومدة اعتقاله .

عندها يجلسن كل سجين على فراشه وتبدأ السهرة الجماعية وهي على نوعين : او ان تكون صاخبة تجمع بين الرقص والاغاني والهرج والمرج او ان تكون هادئة رصينة تقتصر على سرد اختبارات ومآثر كبار السجناء والتعليق عليها فيخلص المتباحثون في آخر السهرة الى ندب حظهم والتحسر على فقدان حريتهم وقد يمسي اكثرهم شراسة ارقهم قلباً واسهلهم دمعاً.

(٢) علاقة عالم السجن بعالم المجتمع

من قارن بين العالمين تبين له بآن واحد نقاط تشابه ونقاط اختلاف .

ومن اهم نقاط الخلاف ان عالم السجن خال من الاهداف والمشاريع وروح المبادرة التي يتميز بها عالم المجتمع ولذا فالجمود والاستسلام للامر الواقع يسيطران داخل السجن حتى يكاد يتراءى للزائر ان السجناء بحالة اضراب مستمر .

ومن خصائص السجن ايضاً بساطة العيش فيه الى حد بعيد بحيث يقتصر اهتمام السجناء على الاكل والنوم دون ان يكون لعلاقاتهم ببعضهم البعض بالغ اهمية . فلا تعقيد في حياتهم ولا تنوع حتى انهم يظهرون بمظهر القوم المتخلفين حضرياً .

ومن اغرب ميزات السجن اعتماد السجناء للدفاع عن حقوقهم على عنصرين متكاملين: القوة والالم. يلجأ السجين الى القوة اولا لتحقيق جميع رغباته وخصوصاً تجاه رفاقه، وعندما لا يؤدي البطش الى نتيجة ينقلب السجين الى ضحية ويضرب عن الطعام ولا يأنف من تشويه جسده وفتح عروقه حتى تسيل دماؤه. والغاية من هذه المناورات الضغط على اصحاب النفوذ وخاصه على الادارة لحثهم على تلبية طلباته .

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

ومن نوادر السجن ايضاً استعمال السجناء لغة خاصة بهم معظم الفاظها من اصل تركي كأن يقولون مثلاً :

«تعين» بدلا من «خبز»

و«بخورة» بدلا من «حمام»

و«قاقوش» بدلا «غرفة»

و«يطىء» بدلا من «فراش»

و«بهيل» بدلا من «ممتاز» الخ ...

وهذا الامر يمكن السجناء من التداول بموضوع يصعب على غيرهم فهمه .

ومع هذا التباين الاكيد فقد تجد بعض التشابه بين العالمين بحيث يبدو السجن صورة مصغرة عن المجتمع . ففي السجن تتمثل جميع الطبقات والاحزاب والطوائف ، وفيه القوي والضعيف ، والغني والفقير ، والسيد والاجير . ويجدر بالذكر ان السجين يتطلع باستمرار الى العالم الخارجي ويعتبر اعتقاله ـ حتى لو كان طويل الامد ـ مجرد زيارة عابر سبيل.

(ب) ـ نفسية السجين

تتميز نفسية السجين بالوحشة المعنوية ولوعة الحرمان والهجران وانحلال عناصر الشخصية.

(١) وحشة السجين المعنوية :

السجين مسجون مرتين مرة داخل الجدران ومرة داخل افكاره .

لذلك تراه يعيش في وحشة نفسية ظاهرة بحيث يجد نفسه وحيداً امام الدولة واجهزتها المعقدة وممثليها العديدين من رجال الامن العام الى قضاة التحقيق والحكام وحراس السجن.

ومن النتائج الاولية لهذه الوحشة تنمية مقدرة السجين على التفكير بحيث يتوصل الى طاقة من جمع افكاره تفوق بكثير مستواه الفكري والثقافي .

ولما كانت افكار السجين تدور دائماً حول عدد محصور من المواضيع المزعجة كمسؤوليته الشخصية وظلم المجتمع فلا بد ان يؤدي هذا التفكير الى حرمان السجين من راحة النوم .

للتوثيق والابحاث
Documentation & Research

اما النتائج المشتركة للوحشة وكثرة التفكير وقلة النوم عند السجناء فتختلف خطورتها باختلاف مناعة كل سجين وهي التشاؤم والقلق وانعدام روح النكتة واللامبالاة .

(٢) لوعة السجين من الحرمان والهجران

من زج في السجن حرم فجأة من كافة سبل تذوق الحياة بحيث يكون قد ارغم على التخلي عن حريته وعاداته ومجتمعه وباب رزقه .

لذا يضحى السجين بين ليلة وضحاها مجرداً حتى من شخصيته وعرضة للعوز المطلق : فهو ليس بعاجز عن سد حاجاته فحسب بل وحتى عن الاستغاثة بالمخلصين الذين كانوا يمدونه بالمساعدة ايام الحرية .عندئذ يستيقظ السجين ويعي ان تأمين حاجاته الاولية هو السبيل الوحيد للحفاظ على ما تبقى عنده من مظاهر الانسانية . وعليه يلجأ الى شتى الوسائل لتوفير مأكله ومنامته وملبسه ومؤونة سجايره سواءً اكان بواسطة المال والنفوذ ام بالعمل والاستخدام وحتى بالاستعطاء والمتاجرة بنفسه .

يتردد السجين في الاعتماد على ذويه واقاربه من اجل مده بالمال ذلك ان مثل هذا الحل يجعل من المصيبة مصيبتين بحيث يصبح معيل العيلة عالة عليها .

وقد يتوجه بمطالبه هذه الى اقطاب النفوذ كرجال السياسة ورؤساء الاحزاب خاصة اذا اتصفت جريمته بدوافع سياسية،وقد يلجأ الى عصابات الاجرام اذا كان من كبار المجرمين الذين يبشرون بمستقبل باهر في مضمار الشر . وفي كلتي الحالتين يعاد اعتبار السجين تجاه نفسه وزملائه من حيث المعيشة والكرامة والنفوذ .

ولكن اكثرية السجناء يشكون الم هجرهم من قبل مجتمعهم ولا يجدون من يعتمدون عليه لتأمين عيش لائق . ومن هؤلاء عدد ضئيل يعتمد العمل كحل لسد حاجاته وذلك اما في مصنع السجن حيث يمكنه مزاولة بعض الصنائع كالنجارة والحدادة واما في غرف الاعتقال حيث يتسنى لهم القيام باشغال يدوية كالتطريز بجبوب الخرز،ومنهم اخيراً من يبذل قصارى جهده للتطوع في خدمة السجناء الاقوياء والميسورين والعيش على حسابهم . اما باقي المخاذيل فيقبلون بالامر الواقع ويقاسون الم الحرمان او يتنازلون عن كرامتهم ويلجؤون الى التسول

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

والاستعطاف . ناهيك عن ان العوز واليأس والرغبة في رفع مستوى المعيشة تنتهي ببعض السجناء وخاصة الاحداث منهم الى المتاجرة باجسادهم .

(٣) انحلال عناصر شخصية السجين

تتميز شخصية السجين بفقدان الانسجام مع المجتمع الذي نبذه وبالتناقض الداخلي بين الدوافع الاولية التي تسيره : فهو في صراع مستمر بين «الخير» و«الشر»، الواقعية والنظرية، وبين الشجاعة والخوف .

«الخير» في عرف السجين ينحصر في تحقيق شهوات نفسه الاساسية المتجسدة في المرأة والخمرة والمال ... والتي يضرم نارها حرمان السجين منها بنوع خاص .

و«الشر» في نظره كامن في جميع العوامل والاشخاص التي تعترض اشباع اهوائه ، وقد يتجسد عنده في اقرب الناس لديه كوالديه وعشيقته وفي ممثلي السلطة كشخص القاضي وحارس السجن بل وفي اي امرىء متمتع بحريته .

ولما كان السجين قليل الشجاعة والشهامة وعديم التربية والثقافة فلا بد ان يلجأ في سعيه المتواصل الى تحقيق اهدافه هذه الى وسائل اولية واختبارية تتعارض كل التعارض مع الوسائل المعمول بها في المجتمع الذي كان يعيش فيه والذي يطاله ويقيده داخل السجن اكثر من خارجه .

لذا يمسي السجين ضحية شهواته وضحية كابوس المجتمع : فمن جهة يصعب عليه تبني مبادىء المجتمع ومن جهة اخرى يستحيل عليه تقويضها .

وتنعكس هذه الازدواجية في تفكير السجين ونظرته الى الناس وتحليله للاحداث .
فهو واقعي الى اقصى حدود الواقعية في حكمه على بعض الناس وبعض نواحي الحياة التي اختبرها عن كثب : فهو مثلا على بينة اكيدة من نتائج البطالة واليأس والغضب وميزات المحتال والسكير والشرير .
ولكنه ينقلب الى باحث نظري ومحاب عندما يقدر الاشخاص ونواحي الحياة التي لها

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

علاقة ما باعتقاله . فهو يبالغ في قيمة الاشياء التي حرم منها ويندد بالاشخاص والقيم التي كان لها صلة ما باسره . فيضحي عنده الرغيف اهم شأناً من حرمة ملكية الغير واشباع شهوته الجسدية اكبر وزناً من الحفاظ على طهاره السجناء الاحداث وشتم كبار المسؤولين حقاً مكتسباً له بمجرد ممارسة هؤلاء السلطة الفعلية .

وينتج عن هذه المغالطات تناقضات جسيمة في براهين السجين وانقلاب في مقاييس القيم الانسانية والاخلاقية . ومما يزيد في قلة انسجامه مع نفسه تأرجحه المستمر بين الشجاعة والخوف .

يستمد السجين شجاعته من حساسيته المفرطة وعدم شعوره بالمسؤولية وخاصة من انحداره الى اسفل درجات الانحطاط البشري لمجرد دخوله السجن . وتدفع هذه العوامل بالسجين الى اقتراف اقبح الاعمال دونما تردد او خجل.

الا ان الخوف يستملكه بصورة فجائية خلال فترات وحشته وتحت تأثير افكاره المظلمة واعتقاده بالقضاء المحتوم والخرافات البالية .

وهذا التقلب بين الشجاعة والخوف يحول دون اتمام السجين الاعمال التي يكون قد باشر بتنفيذها ويكرس بالتالي فقدانه روح المواظبة

كما وينتج عن كافة هذه الانفعالات النفسانية المتواصلة والمتفاعلة فقدان السجين السيطرة على نفسه الى حد يضحى معه العوبة هوسه واضطرابه المفرطين. وقد يتجاوب الصراع النفساني الذي ينتاب السجين مع الصراع القائم داخل السجن بين قوى الفساد وقوى الاصلاح ذلك ان للسجن بعض الفوائد المختصة به .

* * *

ثانياً : منافع السجن ومساوئه :

لعل نفس العناصر التي تكون فوائد السجن هي عينها تلك التي تؤلف مساوئه بالنسبة الى نظرة كل سجين اليها .

(آ) ـ منافع السجن

السجن عبرة للسجين المستهتر وخبرة وتربو للمتيقظ واختبار للحرية لكليهما.

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

(١) ـ السجن عبرة

السجن عبرة لكل مستهتر بجدية القانون وهيبة السلطة .

انـــه لثقيل العبء حتى على المتشرد الذي يعيش فيه بمستوى يفوق مستواه في ظلال الحرية . لذا اخطأ من قال باسم فئة من المعتقلين بتفضيل حياة السجن على حيـاة الحريـة . فالسجن يشكل عقاباً جدياً لمختلف فئات السجناء .

وقد يؤدي احياناً الى اصلاح ذاك السجين الذي يتمكن عند خروجه من مزاولة عمل شريف والتخلص من بيئته الفاسدة .

(٢) ـ السجن خبرة

اما اقصى منافع السجن فلا يستفيد منها الا السجين المتيقظ العاقل وهي اكتساب خبرة الحياة وبعض الحكمة .

لا نبالغ اذا قلنا ان السجن مدرسة للحياة عملية الى اقصى الحدود . وهو يكشف لرواده عن النتائج السيئة لكافة اعمال و مشاريع البشر غير المشروعة كما ويشكل مجالا غنياً لدرس واختبار النفس البشرية في صراعها الازلي بين الخير والشر .

وقد يكتسب السجين الممعن النظر في مشاكل رفاقه ميزات عديدة اهمها رباطة الجأش والتروي وروح التواضع . ولا يستبعد ان ينقلب هذا السجين الى عاقل حكيم .

اذا كانت اهمية فوائد السجن تختلف باختلاف رصانة كل سجين فهناك فوائد تشمل بنفعها كافة المعتقلين ومن بينها اختبار الحرية والصداقات .

(٣) ـ السجن اختبار للحرية ومحك للصداقات

من دخل السجن وعي ولا شك قيمة الحرية التي ارغم على التخلي عنها امـام القضبـان الحديدة ، وربما ادرك ايضاً ان سوء استعماله لحريته هو الذى ادى بالفعل الى حرمانه منها .

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

ويكتشف السجين باكثر سهولة مدى اخلاص كل من يدعي صداقته ، وغالباً ما يسفر هذا الاختبار عن مفاجئات مؤلمة .

ولكن اسوأ اختبارات السجن هي التي نستطيع ان نوردها في باب السيئات .

(ب) ـ مساوىء السجن

مساوىء السجن الناتئة هى البطالة والاختلاط والانحرافات الخلقية .

(١) البطالة

يوجد في السجن موضوع اختبارنا مصنعا يوفر اسباب العمل لخمسة عشر سجيناً من اصل ثمانماية اي ان نسبة ثماني وتسعين بالماية من السجناء عاطلون عن العمل .

هذا مع العلم ان الرغبة في العمل اكيدة لدى عـــدد وافر من هؤلاء كما هو ثابت من قيامهم بعدة اشغال يدوية داخل غرف الاعتقال نفسها لان المصنع لا يستوعب اكثر من ثلاثين عاملا . ناهيك عن ان العمل في المصنع يشكل امتيازاً صعب المنال رفيعاً .

وهكذا تكون الاكثرية الساحقة من السجناء عرضة لمساوىء البطالة الحائلة دون خروجهم من مشاكلهم الداخلية والمغذية افكارهم المظلمة والداعية الى تسرب اليأس والخمول الى نفوسهم . فاذا بهم يتأكدون من عدم نفعهم وكونهم عالة على الغير ، وبالنتيجة فالبطالة تمهد السبيل لافساد السجناء عن طريق الاختلاط .

(٢) ـ الاختلاط

تجمع غرف السجن موضوع بحثنـــا بين السجين الموقوف والسجين المحكوم ، والمجرم المكرر والمجرم الحديث ، والظنين بجنحة والمتهم بجناية ، والمجرم السياسي والمجرم العادي . ومع ان للسجناء الاحداث غرفتين خاصتين بهم فهنالك مناسبات عديدة تمكن السجنـــاء القاصرين من الاجتماع بالسجناء البالغين .

ولما كان مقدار فساد اخلاق السجناء يختلف باختلاف الفئات التي ينتسبون اليها فلا عجب ان يؤدي اختلاط جميع الفئات بعضها ببعض الى تفشي عدوى الرذيلة . ذلك انه مهما بلغت

للتوثيق والابحاث
Documentation & Research

رذيلة المرء خارج السجن فلا بد ان يطلع داخله على جرائم جديدة اكثر بشاعة واكبر عدداً من التي تشغل ضميره خارج السجن .

واذا كان السجين الجديد من هواة الاجرام تمكن بكل سهولة من اختبار جميع انواع الجرائم وكيفية تدبيرها على الوجه الاكمل وتمكن ايضاً من التعرف الى كبار المجرمين ومن تأسيس امتن واخطر عصابات السلب والقتل .

ومن نتائج الاختلاط تأثيره الاكيد في تنمية ونشر الانحرافات بين السجناء .

(٣) ـ الانحرافات الخلقية

يرتكب السجناء داخل السجن عدة قباحات كالادمان على المخدرات والمشروبات الروحية وتعاطي الميسر ومطالعة المطبوعات الخلاعية وحتى اللعب في سباق الخيل .

وللسجناء مقدرة فائقة في الحصول على المخدرات وخاصة «حشيشة الكيف» ومادة «المرويين» التي تصلهم غالبا مدفونة في كميات الطعام الوارد من خارج السجن .

اما كيفية تعاطي هذه المخدرات فتختلف ومقدرة المتزعمين في كل غرفة . اما ان تدور نارجيلة الكيف في المطبخ فينتقل اليها هواتها او ان يظل هؤلاء جالسين على وساداتهم في وسط الغرفة فيطوف عليهم «طيار الكيف» بينما امام شراقة الباب «بصاص» يترقب كل طارىء . وقد تتكرر هذه الحفلات في بعض الغرف اكثر من مرة في اليوم الواحد .

ولكن ابشع مساوىء السجن على الاطلاق الانحرافات الجنسية التي يقع فيها عاجلاً ام آجلا العدد الاكبر من السجناء المحكومين لمدة طويلة .

ولا عجب في الامر ما دام السجين قد سلخ عن بيئته الطبيعية وحرم حق التصرف بنفسه وطرح في بيئة تميزت بالفجور .

اضف الى هذا التنوع في الحرمان نقصاً في الغذاء وبطالة ويأساً وتحريضاً مستمراً على اقتراف المنكرات .

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

وتذكر اخيرا ان السجين من لحم ودم ككل رجل ولكنه بخلاف سائر البشر يستحيل عليه ارضاء شهوته هذه بصورة طبيعية .

لذا ترى اللواط متحكما بالسجناء الكبار منهم والصغار ، ومن نجا من حباله وقع في شباك العادة السرية .

يتعاطى السجناء اللواط بعضهم مع بعض حسب التجانس الجنسي المتبادل ليس فقط بين افراد كل غرفة بل وبين العديد من السجناء الموزعين في كافة اقسام السجن .

ولا يكتفي بعض السجناء بتعاطي اللواط الواحد مع الاخر بل يحيون حفلات فجور جماعية يشركون فيها السجناء الاحداث .
يتم الاتفاق مع الاحداث بواسطة عملاء اخصائيين يتعهدون مقابل بدل معين بجمع القاصر الماجن ، الملقب بالـ«وزوز» او الـ«لقون»، بالزبائن البالغين في مكان يعرف بالـ«بخشة» .

ويبذل بعض السجناء قصارى جهدهم بغية تقريب عملية اللواط من المضاجعة الطبيعية بين الرجل والمرأه ، وعليه يصرون على مجامعة «اللقون» ونصب اعينهم اغرى رسوم الحوريات العاريات .

واذا ضاق الحرمان بالسجناء هواة النساء لجؤوا الى كافة الوسائل الجهنمية للحصول على المرأه ومنها ، حسب ادعائهم ، اقناع ادارة السجن بحاجتهم الى اجراء بعض الفحوصات الطبية في المستوصفات الحكومية مما يمكنهم من مغادرة السجن ورشوة الحراس خلال الطريق الامر الذي يمكنهم من تحقيق رغبتهم الجنسية .

ولا شك في ان هذا الخروج عن المقاييس الطبيعية في تعاطي السجناء الحياة الجنسية مضافاً الى كل ما يقاسيه هؤلاء من وحشة وحرمان ويأس ينتهي بهم الى النوبات العصبية والخمول واختلال الشعور فتقوض انسانيتهم بدلا من ان تصطلح .

* * *

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

ثالثاً ـ اصلاح السجون

اذا قارنا بين واقع السجن في بلدنا وبين النصوص القانونية المرعية الاجراء في لبنان المختصة بتنظيم السجون او بين الواقع وبين مبادىء علم اصلاح المساجين la Science pénitentiaire لاقتنعنا بضرورة ادخال بعض الاصلاحات الى سجوننا . ومقومات هذا الاصلاح بعرفنا هي تأمين كافة الحاجات الاولية للسجين وتحقيق المساواة والتصنيف وتوفير اسباب العمل والتعليم للجميع .

(آ) ـ تأمين كافة الحاجات الاولية للسجين

الحاجات الاولية التي تؤمنها ادارة السجون عندنا هي المأكل والتطبيب والنظام .

فبالرغم من التحسينات الملموسة لا يزال طعام السجناء يفتقر الى المادة الغذائية . فجبذا لو سهرت وزارة الداخلية على تنفيذ المادة ٧٧ من المرسوم رقم ١٤٣١٠ تاريخ ١١ شباط ١٩٤٩ التي تحدد مقدار الجراية اليومية لكل سجين فتخصه بعدة مواد غذائية منها ماية وستون غراما من « الخضرة الصافية كالبندورة «الخضراء» ، وخمسة غرامات من « سمن الغنم الخالي من الغش » ، ومئتا غرام في الاسبوع من «لحم الغنم ... بشرط ان يكون اللحم لحم خاروف لا لحم نعاج » !

والواقع ان السجناء لا يذوقون طعم الخضار او يستسيغون طعم اللحم لاستحالة مضغه وهضمه .

ومن اسباب عدم تنفيذ هذا النص القانوني اعتماد المرسوم نفسه فكرة تلزيم اكل السجناء الى منتفعين بدلا من تأمين ادارة السجن نفسها تحضير الطعام بالتعاون مع السجناء عينهم كما هو عليه العرف في سجوننا بخصوص بعض حاجات السجناء الاخرى كالخياطة والاحذية .

وفي نطاق تأمين الامن داخل السجن يتوجب على الادارة ان تعزز جهودها وتجرد السجناء من جميع وسائل الايذاء كالقطاعات والشفر والاواني الحديدية والزجاجية . كما وعليها ان تزيد فعالية المراقبة على الغرف بعد اقفالها وان تتحسب لرؤساء هذه الغرف ـ وهم

للتوثيق والابحاث
Documentation & Research

ايضا من السجناء ـ لئلا ينفذوا مشيئتهم بصورة تحكمية على سائر سجناء غرفتهم . فهم لا يأبهون في تحقيرهم وشتمهم وضربهم حسب مفهومهم الخاص للسيطرة و«التأديب» وقد يبلغ هوس السيطرة عند بعضهم الى حد بعيد كالزام بعض السجناء بالرقص عراة امام رفاقهم الى ان تتلاشى قواهم فيسقطون ارضاً من التعب .

وعلى الادارة ان تأخذ على عاتقها حاجات اولية اخرى للسجناء كتوفير وسائل المنامة والملبس والضروري من التسلية .

فما بال وزارة الداخلية تتجاهل المواد ٨٢ الى ٨٥ من المرسوم المزكور التي تلزمها بمهام الباس السجناء المحكومين بالاشغال الشاقة والتي تحدد لكل منهم« لباسين وقمصين وسروال وسترة وحذاء وقبعة وجوربين صوفيين ومعطف ... على ان تكون الملابس من الجوخ او من الكتان بحسب الفصل »!

فاذا تذكرنا ان السجناء يبدون شبه عراة تبينا مدى مسؤولية السلطات في هذا المضمار .

كذلك تناست وزارة الداخلية موجب تأمين منامة السجناء الملقي على عاتقها بحكم المادة ٨٦ من المرسوم المذكور والتي تمنح كل سجين فراشاً «من قش ومخدة وشرشف وغطاء على ان يغسل الشرشف كل شهر في الشتاء وكل خمسة عشر يوماً في الصيف . . ويطهر القش كل شهر في اناء للتبخير » !

مع العلم ان اقذر حاجيات السجين على الاطلاق البطانيتان اللتان تؤلفان فراشه وتبقيان دون تنظيف خلال مدة الاعتقال مهما طالت .

يضاف الى هذا التقصير في التنفيذ نقص في التشريع لان الاحكام القانونية المنظمة للسجون قد تجاهلت تماماً اخطر معضلات السجن الا وهي ايجاد الوسائل العملية الكفيلة بمساعدة السجناء على المحافظة على اتزانهم الجنسي .

كل ما ارتأت الادارة حتى الآن لحل هذه المشكلة الشائكة هو ادخال بعض المواد المسكنة الى الطعام المقدم للساجين بغية اخماد شهوتهم الجسدية . ولكن هذا الحل غير الطبيعي بقي دون جدوى بسبب قلة فعاليته ، ورفض السجناء تناول طعام السجن .

للتوثيق والابحاث
Documentation & Research

وهناك حلول اخرى من شأنها مساعدة السجناء على تلافي الانحرافات الجنسية كتوفير اسباب العمل والرياضة والسلوى للساجين وخاصة فصلهم بعضهم عن بعض في الليل . مع العلم ان مثل هذه الاجراءات لا يمكن ان تشكل حلا جذرياً .

بقي اذا على الادارة ان تفكر مليا بالنتائج الخطيرة الناجمة عن اهمال هذا الموضوع الانساني وان تفقه ان القانون لم يحرم السجين الا من حريته دون اي مساس بطبيعته البشرية .

ولذا فاننا نقر عدم مشروعية حرمان السجين من ممارسة حياة جنسية طبيعية .فالقانون اللبناني لم يحرمه منها بنص خاص حسبما تقتضيه الاصول، كما وان المبادى التشريعية لا تسمح باقرار مثل هذه القوانين لما فيها من تناف وتقويض لاسمى القيم الانسانية

وبعد البحث والتدقيق لا بد ان تقتنع الادارة بوجوب تمكين بعض السجناء من تعاطي حياة جنسية منتظمة لا سيما المتزوجين منهم وضمن شروط وظروف خاصة يعود الى الطبيب النفساني تحديدها .

ومن الوجهة السلبية على الادارة ان تتوقف عن استقبال المساجين الاحداث في السجون المخصصة للبالغين وان تنقطع على الاقل عن اناطة ادارة حمامات السجن بهؤلاء الاحداث الذين يتمكنون تحت ستار هذه المهمة الرسمية من ملاقاة البالغين ومشجعي اللواط. ويتوجب على الادارة ان تمنع السجناء الاحداث من التدخين او تحدد لهم مقدار استهلاك الدخان وذلك ليس حفاظاً على صحتهم فحسب بل خصوصاً لمنع تداول علب السجائر في غايات تتنافى وطهارة الاحداث كما هي الحال داخل سجوننا .

ولعل اول خطوة اصلاحية في هذا المضمار هي اسناد مهمة حل المشاكل الجنسية الى طبيب اخصائي بالامراض النفسانية .

وعلاوة على ذلك فان صيانة ما تبقى من مظاهر انسانية السجين لا تتم الا بتحقيق مبدأى المساواة والتصنيف اللذين لم يطبقا بعد في سجوننا .

للتوثيق والابحاث
Documentation & Research

(ب) ـ المساواة

يشكوا ضعاف السجناء من فقدان المساواة بينهم وبين زملائهم المتوجهين والمحتكرين كافة الامتيازات من تمثيلهم وادارة شؤونهم الى مايتفرع عنها من سطوة وحرية في التنقل والمواجهة .

فعليه اصبح من الضروري تنفيذ مبدأ المساواة في سجوننا بحيث تزول جميع الفوارق التي تجعل من السجناء طبقات متباينة ، فتحارب بذلك سطوة المال والنفوذ .

ومن الناحية السلبية تؤدي المساواة الى منع السجناء من الاتيان بحاجاتهم الاولية من خارج السجن فلا يحق بعدئذ لاحد منهم التميز عن سواه بما كله او ملبسه او منامته او اي من مظاهر الرفاهية وبحبوحة العيش كالبراد والسخانة والمروحة الكهربائية والمذياع وحتى جهاز التلفزيون . (كذا)

ويتوجب بالطبع على الادارة من الناحية الايجابية تأمين ما يلزم من هذه الحاجات الاولية لجميع السجناء دونما تمييز وتفضيل . كما ويشمل حكم مبدأ المساواة جميع حقوق السجناء وموجباتهم فلا يستفيد اذ ذاك احد منهم من المحسوبية ومراعاة الخواطر .

ومن النتائج غير المباشرة لتحقيق هذا الاصلاح ان الادارة ، بمنعها دخول حاجات السجناء من الخارج ، تمنع بالوقت نفسه تسرب المحرمات كالاسلحة والمخدرات والكتب الخلاعية والمشروبات الروحية الخ ...

هذا مع العلم ان مراعاة مبدأ المساواة داخل السجن يجب ان لا يؤدي الى دمج السجناء بعضهم ببعض حتى ولا الى تطبيق نظام واحد على الجميع ، وذلك بسبب اهمية التوفيق بين مبدأى المساواة والتصنيف

(ج) ـ التصنف

التصنيف هو العملية التي تؤدي الى تقسيم السجناء الى فئات متعددة بحيث يكون اعضاء كل فئة متجانسين فيما بينهم وساكنين في غرفة مشتركة .

ولعل ادارة السجون عندنا قد تبنت حلا فريدا من نوعه في تصنيف السجناء فوزعتهم

للتوثيق والابحاث
Documentation & Research

على الغرف حسب ميولهم السياسية فأضحت كافة غرف السجن على الاطلاق كلا منها مزينة بصورة زعيمها السياسي ذات الاطار المضاء بالمصابيح الكهربائية .

اما الحل العملي لمشكلة التصنيف فيقضي بان تعهد الادارة بهذا التقسيم الى اخصائي في علم طبائع الانسان Anthropologiste caratérologue يقوم بتنظيم ملف لكل سجين يبين فيه دأبه واخلاقه وميوله الاساسية ونظرته الى نفسه والى الغير . وعلى ضوء هذه الدراسة النفسية يتمكن هذا الاخصائي من تعيين جماعة السجناء التي يقتضى على كل سجين ان يخالطها دون سواها .

ويهدف هذا التصنيف الى تأمين تعايش السجناء بصورة يرضى عنها الجميع ، وتلافي مساوى الاختلاط وبالنتيجة الى افساح المجال امام افراد كل فريق للتمرس فيما بينهم على الحياة الجماعية بغية اعدادهم لمجابهة المجتمع بشيء من التفهم والاتزان .

وهكذا يعتبر تنفيذ مبدأ التصنيف كمرحلة اعدادية لادخال اصلاحات جوهرية الى السجن كتنظيم العمل والتعليم والتوجيه ، ذلك ان فعالية هذه التحسينات متوقفة على مدى الانسجام في الجماعات المصنفة .

(د) - العمل

نصت المادة ١١٨ من المرسوم رقم ١٤٣١٠ تاريخ ١١ شباط ١٩٤٩ على وجوب تزويد السجون بمعامل « تعد لاكبر عدد من المسجونين يمكن تشغيله وتدريبه » . اما في الواقع فلا يزيد عدد السجناء العاملين في معامل السجن موضوع بحثنا عن نسبة اثنين في المائة مع ان تنظيم عمل السجناء من اهم اصلاحات السجون على الاطلاق نظراً لفوائده الجمة التي تكاد تحل جميع مشاكل السجناء .

فالعمل يخفف من وطأة الوحشة التي تحول دون خروج السجين من نفسيته اليائسة ويزيل من ذهنه مركب العيش على حساب ذويه . كما ويخفف من مساوىء اختلاطه برفاقه الفاسقين ويبعده بالتالي عن الامعان في الاجرام وعن الانحطاط الخلقي .

وللعمل مفعول اكيد بتقريب عالم السجن من عالم المجتمع اذ يدخل الى السجن الاهداف والمشاريع التي تنقصه . ولذا ترى السجين العامل اكثر اتزاناً وتفهماً لاوضاع المجتمع من من اى سجين عاطل عن العمل .

وبالنتيجة يتمكن السجين بفضل اجتهاده في عمله من اكتساب صنعة ما ترفع مستوى معيشته داخل السجن وتعده لمجابهة الحياة خارجه بحظ اكبر في النجاح

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

ونظرا لاهمية فوائد العمل هذه يتوجب على الادارة ان تعهد بتنظيم وادارة عمل السجناء ليس الى عسكريين كما هو واقع الحال بل الى اخصائيين في الصنائع والمهن.

ولكن اعداد السجناء الكامل للانخراط في المجتمع لا يتم الا عن طريق التعليم والتوجيه

(٥) - التعليم والتوجيه

جاء في المادة ٦٧ من المرسوم المذكور اعلاه ما حرفيته : « يوضع في كل سجن الكتب المناسبة من ادبية واجتماعية وصحية تحت تصرف المسجونين لتوجيههم وتنويرهم وتكون هذه الكتب نواة المكتبة خاصة بالسجناء » . اما في الواقع فلا تجد في السجن سوى المطبوعات الخلاعية ورسوم الحوريات العاريات الملصقه على كافة جدران الغرف وعلى مرأى من الجميع .

ولا حاجة لاقناع احد بضرورة توفير العلم للسجناء خاصة وان اكثرهم من الاميين ولكن يجدر بنا تنبيه السلطات الى كيفية توفير هذا التعليم التوجيهي على اسس تتفق وواقع السجناء الخاص. وعلى سبيل المثل يمكن ان نتصور صيغة احد مناهج الدروس على الشكل التالي:

في المرحلة الاولى يطلع السجناء على اوضاع السجن ومشاكل السجناء ويلقنون وسائل لاستفادة من محاسن السجن وكيفية تلافي مساوئه .

وفي المرحلة الدراسية الثانية يطلع المساجين على اهمية المجتمع وعلى الاخطار التي تهدد مقوماته وبالتالي على ضرورة ايجاد السجون للمحافظة على كيانه .

وفي المرحلة الثالثة يسعى المدرس لاقناع السجناء بضرورة اجراء المصالحة بينهم وبين المجتمع ويطلعهم على الوسائل العملية لاستعادة مكانتهم فيه عند عودتهم الى الحرية .

اما عبء تنظيم هذا التعليم التوجيهي فيجب ان يلقى على عاتق اخصائيين يعملان بالتعاون ، الاول في علم الاجتماع Sociologue والثاني في علم الاخلاق Moraliste

هذا مع العلم ان مجال استفادة السجناء من هذه الاصلاحات متوقف على جعل العمل والعلم اجباريين للجميع بعكس ما هو الحال عليه الان .

ويتبين من مجمل بحثنا في الاصلاح ان ادارة السجون تتطلب التعاون مع عدد وافر من العلماء الاخصائيين ولذا فاننا نؤيد فكرة اسناد ادارة مصلحة السجون الى موظفين مدنيين على ان تنحصر مهمة العسكريين في الحراسة والمحافظة على الامن .

للتوثيق والابحاث
Documentation & Research

وعليه فلا بد من ايجاد معهد خاص يتولى اعداد جميع موظفي مصلحة السجون حسب النتائج الاخيرة لعلم اصلاح السجناء .

* * *

وخلاصة القول ان من استرسل في سرد مشاريع الاصلاح لا يطول به الامر ليدرك ان المشكلة ليست بتخطيط المشاريع بل باخراجها الى حيز التنفيذ . ان امكانيات نجاح مشاريع الاصلاح في سجوننا تتوقف على مدى تعاون كافة فئات المسؤولين من رسميين وغير رسميين مع السجناء انفسهم ومع فئة من المتطوعين صممت على خدمة السجناء دون مقابل .

من مقتضيات اصلاح السجون اشراك السجناء انفسهم في حل معضلاتهم وذلك بتشجيعهم على تأسيس وادارة جمعيات ونوادٍ داخل السجن تهدف الى حث اعضائها السجناء على تبني المشاريع الاصلاحية والمساهمة في وضعها موضع التنفيذ .

ويجب ان يستفيد السجناء من استعدادات بعض المتطوعين ، من افراد وجماعات ، لاصلاح السجون ، خاصة وان امكانية هؤلاء العلمية والعملية تجعلهم جديرين بانفاذ بعض المشاريع الاصلاحية كالتصنيف والتعليم والتوجيه ... دون اي مقابل من الدولة .

كما ويجدر بالمحامين ان يعيروا القضايا الجزائية كامل اهتمامهم وقصاري جهدهم وخاصة الا يوخروا فصل الدعاوي ، بالتاجيلات غير الضرورية ، لئلا يؤدي تقصيرهم هـذا الى اشراكهم في مأساة تفكك اسمى القيم البشرية داخل الجدران المظلمة .

وعلى قضاة التحقيق ورؤساء المحاكم الجزائية ان يتفقدوا السجناء بصورة دورية داخل السجن ، مرة واحدة في الشهر للاولين ومرة كل ثلاثة اشهر للاخرين ، كما تلزمهم بذلك المادة ٤٢٥ من قانون اصول المحاكمات الجزائية . ويرتجى ايضاً ايجاد تشريع جديد يقضي بتعليق مراسيم تعيين القضاة الجدد على شرط اقامتهم المسبقة في السجن ولو لمدة اسبوع كي يتمرسوا على التوفيق بين مدى مسؤولية المتهم ومدة اعتقاله .

اما السلطة فيجدر بها ، وقد باشرت ببناء سجن جديد ، ان تبادر فوراً الى تنفيذ نصوص المرسوم رقم ١٤٣١٠ تاريخ ١١ شباط ١٩٤٩ وان لا تتأخر بوضع تشريع شامل ينظم سجوننا وفقا للنتائج الاخيرة لعلم اصلاح المساجين .

بيروت في ٣١ / ١٠ / ١٩٦٠ — المحامي رولان ابو شديد

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

Documentation & Research

Documentation & Research

umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research